# الإنسان قبل الدنيا

الشيخ حسن بدران

**الكلمات المفتاحيّة**: حسن بدران؛ الخَلق؛ الأمر؛ الأعيان؛ الآثار؛ الروح؛ البدن؛ النبيّ آدم.

## عالمَي الأمر والخَلق: الإنسان قبل وبعد

قال تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[1]. القبْليّة والبَعديّة في قولنا: الإنسان قبل وبعد، هي مفاهيم إضافيّة، لا بدّ لها من طرف تضاف إليه، وعالم الخلق هو طرف الإضافة هنا، ولكن هذه الإضافة ليست حقيقيّة بل نسبيّة. الإضافة الحقيقيّة لا تكون إلّا للعلّة الحقيقيّة، وهو المدبّر لعالم الأمر والخلق. والبحث هنا ليس عن القبليّة والبعديّة التي يمكن تصوّرها بين أفراد وأشخاص هذا العالم المادّيّ. وليس الهدف من البحث هو تعقّب الجذور الأولى للبشريّة في عالم الخلق كما تفعل الأنثروبولوجيا مثلًا. وإنّما القبليّة والبعديّة بحسب العلم القرآنيّ بلحاظ اختلاف العوالم في الرتبة، فهناك عالم الخلق وعالم الأمر، والإنسان قبل عالم الخلق هو الإنسان في عالم التجرّد والأمر، وهو غير الإنسان المضاف إلى عالم الخلق والدنيا، إذ إنّ الإضافة تختلف باختلاف مراتب الوجود.

## الأمر غير الخلق

ظاهر الآية الكريمة: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} أنّ **الأمر غير الخلق**، فما هي حقيقة كلّ منهما؟ وما هي طبيعة العلاقة بينهما؟ جاء في بعض كتب التفسير أنّ المراد بالخلق هو أعيان الموجودات، وبالأمر القوانين الحاكمة بأمر الله، أو هي آثار تلك الأعيان. وناقش العلّامة الطباطبائي في ذلك؛ بأنّ أمره تعالى هو إيجاده بكلمة كن {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ[2]}؛ و"كن" تتعلّق بالأعيان والآثار معًا؛ {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}[3]. فإذًا، كلاهما إيجاد للأعيان وللسنن. والفرق بينهما – كما يرى العلّامة — هو أنّ الخلق عالم المادّة، والأمر عالم المثال. ويمكن بيان ذلك بالتالي:

---

[1] سورة **الأعراف**، الآية 54.

[2] سورة **يس**، الآية 82.

[3] سورة **الإسراء**، الآية 85.

1 – إنّ الفعل "كن" هو فعل أمر، وهو أمر دفعيّ {وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}[4] فيناسب عالم المثال. والفعل "يكون" فعل مضارع، يفيد التجدّد والاستمرار، أي الخلق التدريجيّ {إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ}[5] فيناسب عالم المادّة. واختلاف الأمر الدفعيّ مع الأمر التدريجيّ لا يعني أنّهما متباينان، بل هما متراتبان، ذلك أنّ مرجع الخلق إلى أمر الله {مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ}[6]. فيتّضح أنّ عالم الجسمانيّات التدريجيّة فيه وجهان: وجه أمريّ، ووجه خلقيّ. والأصل هو الوجه الأمريّ؛ فالأمر محيط بالخلق، موجود معه، وقائم عليه.

2 – الفاء تفيد **الترتيب** مع **التعقيب**؛ فالترتيب بأن يقول "كن" أوّلًا، والتعقيب بأن يوجَد الشيء و"يكون" بعد "كن" بلا مهلة. وقد تفيد معهما **التسبيب**، وذلك أن يكون ما قبلها سببًا فيما بعدها. وهذا الترتيب يحصل حقيقة بين المراتب وليس بين الأشخاص، وهذه المراتب متعاقبة بلا فصل، وكلّ مرتبة سابقة بمنزلة العلّة للمرتبة اللاحقة. والنتيجة: إنّ عالم الأمر سابق على عالم الخلق {بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}[7]. وعالم الخلق متفرّع على الأمر[8].

**التدبير**

- {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ}[9]
- {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ}[10]
- {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا}[11]

---

[4] سورة **القمر**، الآية 50.

[5] سورة **الصافات**، الآية 11.

[6] سورة **لقمان**، الآية 28.

[7] سورة **الأنبياء**، الآيتان 26 و27.

[8] الفلسفة العلميّة اقتصرت على المنهج التجريبيّ كمصدر للمعرفة ما جعلهم ينكرون عالم الأمر. بينما العلم القرآنيّ قائم على أساس الوحي كمصدر للمعرفة ولذلك فهو ينهض على أساس عالم الأمر.

[9] سورة **يونس**، الآية 3.

[10] سورة **السجدة**، الآية 5.

- {خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ}[12]

التدبير يصدر من "فوق"، من العرش. وقد أوحى إلى كلّ سماء ما يختصّ بها من الأمر. فالأمر يتنزّل من سماء إلى سماء وله نسبة إلى كلّ واحدة من السموات، لوقوعه من عالٍ إلى سافل؛ فالأمر في تنزّله ذو مراتب، حتّى ينتهي إلى آخر السماوات فيتجاوزها إلى الأرض ثمّ يأخذ في العروج.

**التقدير**

- {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ}[13]
- {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا}[14]
- {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ}[15]

لكلّ شيء وجود مخزون في عالم الأمر، وهو موجود قبل التنزّل بوجود غير محدود ولا مقدّر. والوجود الأمريّ يتنزّل من خلال تقديره بالمقادير وتحديده بالحدود والنهايات. ثمّ إنّ جمع "الخزائن" مشعِر بوجود كثرة في عالم الأمر؛ وهي كثرة مراتب "شدّة الوجود وضعفه"، وليس كثرة أفراد "مشخّصات". وليس التنزّل بالتجافي وتخلية المكان السابق بالنزول إلى اللاحق؛ فما عند الله باقٍ لا ينفد.

**الأمر والكلمة**

ربّما يعبّر سبحانه عن الأمر بالكلمة، فإنّ الأمر كلمته سبحانه {وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ}[16]. وسمّي بالأمر لكونه لا يحتاج في وجوده إلى أزيد من كلمة "كن":

---

[11] سورة **فصّلت**، الآية 12.

[12] سورة **التغابن**، الآية 12.

[13] سورة **الحجر**، الآية 21.

[14] سورة **الأحزاب**، الآية 38.

[15] سورة **النحل**، الآية 96.

[16] سورة **النساء**، الآية 171.

– فالكلمة **ثابتة لا تتبدّل** لأنّها من عالم الأمر {لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ}[17].

– والكلمة **باقية لا تنفد** لأنّها من عالم الأمر {لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}[18] {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ}[19].

– والكلمة **قضاء محتوم** لأنّها من عالم الأمر {كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ[20]} {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ أَنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}[21].

– والقضاء **لا يقبل التعليق ولا التراخي** لأنّه من عالم الأمر {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا}[22] {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ}[23]، بخلاف القدر فهو معلّق على شروطه[24].

**موجودات عالم الامر**

**كمال عالم الأمر وقدسه**

---

[17] سورة **يونس**، الآية 64.

[18] سورة **الكهف**، الآية 109.

[19] سورة **لقمان**، الآية 27.

[20] سورة **يونس**، الآية 33.

[21] سورة **الصافّات**، الآيات 171-173.

[22] سورة **النساء**، الآية 47.

[23] سورة **يوسف**، الآية 21.

[24] هل يصحّ أن نفترض العوالم السابقة بمثابة علّة إعداديّة لعالم المادّة، بحيث يتساوى البشر في العوالم السابقة، ويختلفون بين مؤمنين وغير مؤمنين في هذا العالم؟ وهل هذا العالم هو بمثابة العلّة الغائيّة للعوالم السابقة بحيث يحقّق الإنسان ماهيّته على أساس إمكاناته الوجوديّة بواسطة أفعاله كما يقول سارتر مثلًا؟ أم أنّ الإنسان هو هو في جميع العوالم، وما تنزله إلى عالم المادّة سوى ظهوره وتمايزه بالأفعال والتقديرات، وبالتالي فلا ينبغي التفكيك بين العوالم بالقول أنّ البشر متساوون في عالم التجرّد ومنشأ اختلافهم هو بسبب عالم المادّة!.

موجودات عالم الأمر مشتملة على جميع الكمالات بلا حدود، موجودة بوجود واحد على كثرتها، ولها مراتب وتنزّلات حتّى تشرف على عالم الأجسام، وهي في جميع مراحلها مشتملة على الكمالات مبرأة عن النواقص. غير أنّها في كلّ مرتبة بحسب ما يقتضيه حال تلك المرتبة من القوّة والضعف. فالروح هي روح القدس {وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ}[25]، (نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ). فليس في الروح إلّا حيثيّة الأمر. والملائكة (عِبَادٌ مُكْرَمُونَ) بالإكرام الذاتيّ؛ فليس في ذواتهم ولا في أعمالهم إلّا حيثيّة الأمر. {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ[26]} ذواتنا بأمرك، وأفعالنا بأمرك ونحن نظهر قدسك وطهارتك عن النواقص بذواتنا وأفعالنا[27].

## الروح غير البدن

الروح من عالم الأمر {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا}[28]، والروح غير البدن، وإنّما هبط إليه من مقامه العلويّ، وسكن هذه البنية بالنفخ الربّانيّ {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي}[29]. وهذا الطائر القدسيّ سيترك هذه البنية المظلمة بجذب ربّانيّ، كما سكنها أوّلًا بنفخ ربّانيّ {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ}[30].

## الإنسان ليس بدنًا فحسب

زعم الكافرون أنّهم هم الأبدان، وهي تتلاشى وتضلّ في الأرض: {وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيد، بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ}[31]. فأجاب المولى سبحانه بأنّ الذي يلقى الله تعالى، ويتوفّاه ملك الموت، هو الروح {قُلْ

---

[25] سورة **البقرة**، الآية 87.

[26] سورة **البقرة**، الآية 30.

[27] الفكر الإسلاميّ لا يعيش ثنائيّة الخير والشرّ، بل ثنائيّة المادّة والصورة. الإمكان والفعليّة. والمادّة الإمكانيّة ليست شرًّا، بل هي استعداد الخيريّة. والشرّ هو ما يحول دون تحقّق الإمكانيّات. فهو عارض ونسبيّ.

[28] سورة **الإسراء**، الآية 85.

[29] سورة **ص**، الآية 72.

[30] سورة **الأنبياء**، الآية 104.

[31] سورة **السجدة**، الآية 10.

يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثمّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ[32]}، فما يحكي عنه الإنسان بلفظ "أنّا" هو روحه، وهو الذي يقبضه الله ويأخذه بعد ما نفخه، وهو غيرُ البدن.

**علاقة الروح بالبدن**

للروح مع ذلك اتّحاد ما مع البدن، فبهذه الحياة الدنيا فهو هو: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}[33] {فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ}[34] عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: لأيّ علّة إذا خرج الروح من الجسد وجد له مسًّا، وحيث ركبت لم يعلم به؟ قال: لأنّه نما عليها البدن[35].

**تدبيريّة الأمر، وإعداديّة الخلق**

ثمّ إنّه تعالى ملّك الروح – بعد توحيده مع البدن – قوًى سامعة وباصرة وعاقلة: {ثمّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ}[36] فهيّأ له جميع التصرّفات الجسمانيّة في عالم الاختيار، وسخّر له ما في السموات والأرض. فالتسخير والتدبير للأمر وبالأمر دون الخلق، وإنّما للخلق (وهو مجموع عالم الأجسام) الآليّة والأداتيّة[37].

**مسيرة الإنسان في عالم الخلق**

الهبوط إلى الأرض يوجب انشعاب الطريق إلى شعبتين: شعبة السعادة، وشعبة الشقاوة {قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ، وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[38]:

---

[32] سورة **السجدة**، الآية 11.

[33] سورة **طه**، الآية 55.

[34] سورة **الأعراف**، الآية 25.

[35] الشيخ الصدوق، **علل الشرائع** (منشورات المكتبة الحديدريّة: النجف الأشرف، 1385 هجريّة)، الجزء 1، الصفحة 309.

[36] سورة **السجدة**، الآية 9.

[37] الحياة مراتب، والحياة هنا هي "الحياة الدنيا"، بخلاف الدار الآخرة التي هي الحيوان. والحياة الدنيا هي حياة الروح من خلال البدن، والحياة الآخرة هي حياة الروح مع البدن وليس من خلاله.

– طريق الشقاء في الحقيقة هلاك وبوار، فهناك منتهى سفرهم من عالم القدس {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ}[39].

– طريق السعادة، هو الحياة الدائمة {أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ}[40] {مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ}[41]، {وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ}[42].

الفريقان يعودان على ما كانا عليه قبل النزول والهبوط {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ}[43]:

– أصحاب الشقاء يعيشون ويحيون بعد العود عيشًا في صورة البوار، وحياة في صورة الموت {ثمّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَا}[44].

– أصحاب السعادة يعودون إلى ما كانوا عليه من الحياة الطيّبة {فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}[45]. وهم الذين يؤجرون بأعمالهم الناشئة عن ذواتهم السعيدة، ويزيدهم الله من فضله ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله، والله يرزق مَن يشاء بغير حساب.

**وجوه الاختلاف بين الروح والملائكة**

---

[38] سورة **البقرة**، الآيتان 38 و39.

[39] سورة **إبراهيم**، الآية 28.

[40] سورة **يونس**، الآية 2.

[41] سورة **النحل**، الآية 96.

[42] سورة **العنكبوت**، الآية 64.

[43] سورة **الأعراف**، الآيتان 29 و30.

[44] سورة **الأعلى**، الآية 13.

[45] سورة **النحل**، الآية 96.

1 – الروح يقبل أن ينزل عن عالمه المجرّد إلى هذا العالم، فيتّحد بالأجسام، بخلاف الملائكة فإنّهم لا يجاوزون أُفق المثال.

2 – الروح بواسطة نزوله إلى هذه النشأة وإقامته فيها، يقع على مفترق طريقين، غاية أحدهما البَوار والهلاك، وغاية الآخر التمكّن في معارج العلياء وجنّة الخُلد، ومقام القرب. والملائكة ليس لهم إلاّ خطّ واحد، وهو خطّ السعادة.

3 – **الروح أرفع منزلة من الملائكة**، وإنّه يتّحد معهم قائمًا عليهم {يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ}[46] {وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}[47]، فالروح من الأمر وهو **أرفع درجة** من الملائكة ومهيمن عليهم.

كلّ هذا يفسّر خلافة الإنسان في الأرض دون الملائكة.

**موقف الملائكة من خلافة الإنسان**

**الخلافة**

قال سبحانه: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ}[48].

**سؤال الملائكة ناشىء من قياس خاطئ**

قوله تعالى: {قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا} استفسار من الملائكة عن كيفيّة حصول الخلافة للإنسان مع وجود هذه النواقص، وليس اعتراضًا؛ بدليل قولهم: {إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}. يظهر أنّ الملائكة قايَسوا خلافة خليفة

---

[46] سورة **النحل**، الآية 2.

[47] سورة **الأنبياء**، الآية 27.

[48] سورة **البقرة**، الآيات 30 إلى 32.

الأرض على خلافتهم السماويّة؛ فالخلافة السماويّة خلافة تامّة تُظهر تنزُّه الحقّ سبحانه وقُدسه، والخلافة الأرضيّة فيها ظهور الفساد، وسفك الدماء، وهي السيّئات التي أخبر الحقّ سبحانه في كتابه بأنّها ليست منه. وهذا يوجب تغيّرًا في حقيقة الخلافة، وعدم بقائه على قدسه، حتّى يحكي كمال الحقّ بما يليق بقدس ذاته سبحانه.

**خلافة الإنسان أكمل**

{قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} هذا بيان لنقص خلافتهم؛ بأنّ اسم العلم لم يظهر فيهم تمام الظهور، ولم يظهر فيهم كما ظهر في آدم: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا}.

**ما هي الأسماء؟**

الأسماء هي موجودات حيّة عالمة عاقلة، وليست ألفاظ الأسماء، بل هي ذوات تتّصف بصفات الكمال، يدلّ عليه قوله: {أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء}، وقوله: {فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ}. وهذه الأسماء هي خزائن الغيب الغير مقدَّرة وفيها كلُّ شيء {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ}[49].

**الوجود المحدود لبعض الملائكة**

هؤلاء الملائكة المخاطبين لا يرقى وجودهم عن عالم التقدير والحدود {إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} {إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}[50]؛ وفي الخبر "أنّ لله ملائكة لم يشعروا أنّ الله خلق عالما ولا آدم"، و"أنّ الملائكة لما عرفوا خطأهم في قولهم، لاذوا بالعرش".

**علم الأسماء محجوب عن الملائكة**

قال سبحانه: {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ[51]} والمفاتح هي الخزائن أو مفاتيحها. فعلْم آدم إنّما هو علمه سبحانه المحجوب عن الملائكة، وهذا لا يتحقّق بغير الولاية، فهو سبحانه وضع في جبلَّة آدم الولاية والتخلّق بجميع الأسماء والصفات، وقد حُجب عنه الملائكة ولم يصيروا (بعد إنباء آدم إيّاهم الأسماء) مثل آدم.

---

[49] سورة **الحجر**، الآية 21.

[50] والشاهد على ذلك أنّه سبحانه كرّر قوله: (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) بتبديله، بقوله: (إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) الآية، فللسموات والأرض غيب كما أنّ لهما شهادة، والأسماء التي علّمها سبحانه آدم (ع) هي غيبهما، فافهم. (منه قدّس سرّه).

**نفخ علم الأسماء**

وقوله سبحانه: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي}، فيه إجمال ما فصّله تعالى بقوله: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء) فعلم الأسماء هو حقيقة الروح الذي نفخه سبحانه.

**إبليس والهبوط**

**الأمر المكتوم**

قوله سبحانه: {وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ}[52] فيه إشعار بأنّه كان هناك أمر ما، مكتوم. والمراد ممّا كانوا يكتمون بحسب الروايات هو: ما كان يضمره إبليس من عدم السجدة لآدم عليه السلام. هذه النشِأة المتقدّمة على الدنيا لا تتمايز فيها السعادة والشقاوة، وإنّما موطنُ التمايز ومبدؤه الدنيا؛ ولذلك فحال إبليس هناك حال سائر الملائكة، وقد شمله الخطاب بالسجود كما يفيده الاستثناء {فَسَجَدُواْ إِلَّا إِبْلِيسَ}.

**متى حصل التمايز؟**

قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}، كالبيان لهذا الأمر المكتوم؛ فقدَ تميّز إبليس من الملائكة وصار رجيمًا.

**معنى معصية آدم**

عصيان آدم لم يكن بالعصيان المنافي لعصمته عليه السلام، وإنّما هو عصيان جبلِّيّ ذاتيّ، وهو اختياره الهبوط إلى الدنيا، وهو ترك عالم النور والطهارة واختيار الظلمة والكدورة، وإليه يلمح قوله سبحانه: {فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ}. ولو كانت معصيته عليه السلام معصية فسق، لكانت جنّته دار اختيار، فكانت من دار المادّة والظلمة، فكانت في الأرض دون السماء.

**الهبوط كان من السماء إلى الأرض**

---

[51] سورة **الأنعام**، الآية 59.

[52] سورة **البقرة**، الآية 33.

الهبوط كان من السماء إلى الأرض {قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[53] {فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ}[54]. قال الإمام عليّ عليه السلام في احتجاجه على الشامي، حين سأله عن أكرم وادٍ على وجه الأرض: "وادٍ يُقال له سرانديب سقط فيه آدم من السماء". وفي خطبة له عليه السلام يصف فيها قصّة آدم عليه السلام: "ثمَّ بسط الله سبحانه له في توبته، ولقّاه كلمة رحمته، ووعده المردّ إلى جنَّته، وأهبطه إلى دار البليّة، وتناسل الذرّيّة".

**الهبوط لآدم وزوجه وذرّيّته**

قال سبحانه: {قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا...}، تلميح إلى أنّ ذرّيّة آدم مشاركون مع أبيهم في الخروج من الجنّة بعد دخولها: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}[55]. فإنّ إبليس يائس من رحمته، وقد قال فيه: {قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ، لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ}[56]، فلا يبقى للخطاب إلّا آدم زوجته. والخطاب لهم إنّما هو بالتثنية دون الجمع. فليس إلّا أنّ الحكم لآدم وزوجته وذريّتهما {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ}[57].

**متى دخل آدم وزوجه الجنّة؟**

ظاهر سياق الآيات أنّ دخولهما الجنّة كان بعد تسويتهما، والنفخ، والسجود. وفي بعض الروايات: أنّه سبحانه نفخ في خلق آدم يوم الجمعة، وأدخله الجنّة بعد الظهر من يومه ذلك، وما لبث في الجنّة إلّا ستّ ساعات من النهار أو

---

[53] سورة **الأعراف**، الآية 27.

[54] سورة **الأعراف**، الآية 25.

[55] سورة **البقرة**، الآية 38.

[56] سورة **ص**، الآية 84.

[57] سورة **الأعراف**، الآية 11.

سبعًا حتّى خرج منها. ويظهر من الروايات: أنّ ذلك كان حالًا برزخيًّا له ولزوجته، وتمثّل لهما الشجرة المنهيّة فيها، فأكلا منها وظلما أنفسهما، وكان ذلك منهما هبوطًا إلى الأرض وحياة فيها وظهور سوآتهما.

**حقيقة الشجرة المنهيّة**

ورد في الخبر أنّها شجرة، كان أصلها يستوجب الهبوط إلى الدنيا، وحيث إنّ الغاية فيها هي التحقُّق بعلم الأسماء كلّها وهي الولاية؛ فلذلك عبّر عنها تارةً بشجرة الحنطة، وتارةً بشجرة تحمل كلّ ثمرة، وتارةً بشجرة علم محمّد وآله.

**الولاية هي الأمانة**

قوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}[58]. يحكي عن ظلم سابق، وجهالة سابقة، فموطن هذا العرض إن كان هو الوجود الدنيويّ، فالظلم في نشأة سابقة. والأمانة هي الولاية كما في بعض الروايات، فإنّ الدنيا جارية على ما جرى عليه الأمر قبلها من سعادة وشقاوة. والغاية من عرْض الأمانة: {لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}[59]. وقد قَسَّمَ الإنسان إلى قسمين: مؤمنٌ ومنافق إشعارًا بأنّ الكلّ حاملون، فمنهم مَن حمله ظاهرًا وباطنًا، ومنهم مَن حمله ظاهرًا لا باطنًا. ومعلوم أنّ ظاهر تلك النشأة باطن في هذه النشأة، وبالعكس، فالكافر في هذه النشأة كافر في ظاهره، لكنّه معترف بجبلّته وفطرته {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}[60]. وبالجملة فتنطبق (الآيتان) على قضيّة أخذ الميثاق.

---

[58] سورة **الأحزاب**، الآية 72.

[59] سورة **الأحزاب**، الآية 73.

[60] سورة **الروم**، الآية 30.